الزوجة الصالحة

للاستاذ عيسى متولى

عانينا فى السنوات الأخيرة أزمة الزواج على إثر إحجام كثير من الشبان عن طرق أبوابه ، وكانت حجة الشبان فى هذا الإحجام قيام بعض العقبات فى طريقهم ، كالتغالى فى المهور ، وإرهاق طالب الزواج بما لا طاقة له به ، وإذا سألت أحد هؤلاء الشبان عن سر إحجامه ، أجابك بأنه لم يجد من بين الفتيات الفتاة الصالحة التى يحلم بها ، ويرسمها فى خياله .

وليس من العدالة أن ننكر وجود الفتاة الصالحة للزواج فى بيئتنا ، فهى موجودة ، ولكنهم ضلوا الطريق ، فلم يستطيعوا الوصول اليها ، إذ أخطأوا فهم الكثير من الحقائق ، وسلكوا سبلا كثيرة لم تنته بهم إلى الهدف المقصود ، فتفرقت بهم السبل ، وذهبت جهودهم أدراج الرياح .

حسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما نالته من علم ، وأصابته من ثقافة ، وليست الثقافة وحدها بالشرط الأساسى لصلاحية الزوجة ، لأن الرجل لا يقترن بالمرأة ليتتلمذ على يديها ، ولتشرح له أصول العلوم ومختلف النظريات .

وحسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما تمتلكه من ثروة أو عقار ، وليست الثروة وحدها بالشرط الأساسى لصلاحية الزوجة ، بل قد تكون الثروة فى بعض الأحيان عاملا من عوامل الإفساد لا الإصلاح .

وحسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما حبتها به الطبيعة من جمال ، وليس الجمال وحده بالشرط الأساسى لصلاحية الزوجة ، فقد يكون الجمال أحيانا نقمة على المرأة .

راح كل منهم يبحث عن الزوجة الصالحة فى الناحية التى يعتقد أنه سيظفر بها منها ، فاذا به لا يظفر بشىء ، لأن اعتقاده قام على أساس خاطئ .

إن الزوجة الصالحة هى التى تجمع من المزايا والخصال ما يؤهلها للاضطلاع بأعباء البيت ومسئولياته . هى التى تقدر الزوجية تقديرا صحيحا ، وتقدس حقوق الزوج ، وتعمل على إسعاده ، وتسهر على راحته . هى التى توقف جهودها للبيت ، فتجعل منه جنة ينعم أهلها بكل ما يتمنونه من سعادة ، ورفاهية ، وهناء . هى الزوجة الوفية ، والشريكة الأمينة المطيعة ، التى تقيم دعائم حياتها الزوجية على أسس قوية مكينة .

هذه هى الزوجة الصالحة ، التى عناها النبى صلوات الله عليه وسلامه حين قال : "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" .

ومن النظريات التى لا يعوزها برهان أن صلاحية الزوجة تتوقف الى حدّ كبير على صلاحية الزوج ، فالرجال بما تخوله لهم القوانين الطبيعية والشرعية قوامون على النساء ، يوجهونهن وجهة الخير بالرفق إن أجدى ، وبالعنف إن لم يجد الرفق ، فالزوج الحازم الذى يعرف كيف يقبض على زمام بيته ويديره دفته بحكمة وتبصر يستطيع أن يمهد لزوجته وأبنائه طريق الخير والصلاح ، أما إذا انصرف الرجل عن بيته وأهمل شئونه ، فلا لوم نسوقه الى المرأة اذا دفعها ذلك الى الإهمال :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

فلا تلوموا المرأة اذا لمستم فيها ناحية من نواحى النقص أو الإهمال ، ولوموا الرجل فهو المسئول الأول عن توجيهها .

وخليق بنا ونحن بصدد الحديث عن الزوجة الصالحة أن نبين أثر هذه الزوجة فى حياة زوجها ، فهذه المرأة التى تهز المهد بيمينها والعالم بيسراها تؤثر تأثيرا كبيرا فى حياة زوجها ، ولنا فى سير الأبطال والقادة خير دليل على صحة ذلك، ففى حياة كل بطل من هؤلاء الأبطال الذين برزت أسماؤهم فى سجل التاريخ ، وأولئك القادة الذين ملكوا زمام الأمم والشعوب ناحية هيأت لهم بلوغ هذه المراكز التى بلغوها ، هى ناحية " المرأة " .

فالمرأة الصالحة تمدّ شريكها بروح قوى يمهد أمامه كل صعب ، وتعينه على تذليل ما يعترضه من عقبات ، وتشجعه، وتؤازره ، ولو رجعنا إلى التاريخ لمسنا أثر الزوجة فى حياة الزعماء والقادة ، وأدركنا مبلغ ما يدين به هؤلاء العظماء لزوجاتهم .

لقد سئل المستر نيفيل تشمبرلين مرة : إذا لم تكن الأقدار قد اختارتك لتكون رئيسا للوزارة البريطانية ، فماذا كنت تود أن تكون ؟ فأجاب على الفور : كنت أتمنى أن أكون هذا الرجل الذى تتاح له فرصة الاقتران بمسز تشمبرلن .

وطالما شاد العظماء فى مناسبات كثيرة بما تركته زوجاتهم من أثر فى حياتهم .

كما أن الأم الصالحة تغرس فى أبنائها بذور الفضيلة بما توجهه اليهم من معانى الخير فتخرج للوطن شبابا مزودا بقوة الخلق ، وهى خير سلاح يشق به طريقه نحو غايات المجد والكمال .

والأم الصالحة قدوة طيبة لبناتها ، ترعاهن وتقيم حولهن سياجا من الحصانة يحميهن ويصون عفتهن .

وهكذا لا يقتصر أثر الزوجة الصالحة على ناحية واحدة ، بل تشمل جميع النواحى المحيطة بها .

وأحب أن أشير هنا الى ضرورة تعديل برامج تعليم الفتاة تعديلا يكفل تثقيفها ثقافة بيتية تؤهلها لحياة البيت ، ففنون التدبير المنزلى والطهى و إعداد المائدة ألزم للفتاة من دروس الجغرافيا والطبيعة والجيولوجيا .

إننا لا ننكر حق الفتاة فى التعليم ، ولسنا ندعو الى حرمانها منه ، إنما نطالب بأن تكون العناية بتعليمها التعليم البيتى أوفر من العناية بتعليمها سائر العلوم والمعارف ، لنعد للمستقبل فتيات صالحات تدربن على شئون المنزل ، وتربية الطفل ، حتى إذا ما هيأتهن الأيام لإدارة مملكة البيت ، أدين رسالتهن على وجهها الأكمل .

لقد رأينا من بين فتياتنا المتعلمات فريقا واصل درسه وتحصيله حتى بلغ النهاية أو قاربها ، فحصلن على دبلومات عالية ، وضربن بسهم وافر فى النبوغ ، فرأينا من بينهن المحامية الفذة ، والطبيبة البارعة ، ورغ كل ذلك لم تستطع الفتاة أن تتحدى طبيعتها أو تخرج على أنوثتها ، وتفر من أداء الرسالة التى خلقت لها . . . فاذا بها تخلع " روب المحاماة " وترتدى بدله " مريلة المطبخ " .

فما هى الحكمة إذن من مواصلة الفتاة للدرس والتحصيل إذا كان مصيرها البيت .

أو ليس الأصلح لها أن نعدها للبيت إعدادا صالحا ، ييسر عليها مهمتها ، ويعينها على أداء رسالتها ؟ .

* * *

أعود بعد ذلك فأقول للشبان المحجمين عن الزواج إن الزوجة الصالحة موجودة فى بيئتنا إلا أنها كالدرة الغالية ، تأبى إلا أن تبقى مصانة فى خدرها حتى يسعى اليها طالبها ، لا أن تسعى هى اليه .

هناك قانون اقتصادى يقول إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول ، ونستطيع أن نطبق هذه النظرية الاقتصادية على حياتنا الاجتماعية ، وما نلاحظه من اختفاء النوع الجيد . فأقول فى صراحة إن بعض الفتيات عندنا يسعين إلى الزواج قبل أن يسعى اليهن طالبو الزواج . وتلكم هى العملة الرديئة التى تؤثر تأثيرا سيئا على العملة الجيدة التى تؤثر أن تبقى مصانة فى خدرها ، معززة الجانب ، موفورة الكرامة ، حتى يسعى اليها طالبها .

أيها الشبان المحجمون عن الزواج لا حجة لكم فيما تلتمسونه من أعذار حين تعزون سبب أحجامكم الى افتقار المجتمع الى الفتاة الصالحة . . فنى وسعكم الاهتداء اليها ، إذا أحسنتم البحث عنها ، وسلكتم اليها السبيل القويم .

لا تنظروا الى الزواج بهذا المنظار الأسود الذى يشوه لكم الحقائق ، ويصورها لكم تصويرا خاطئا ، وينفث فى نفوسكم اليأس والقنوط !

وفقكم الله إلى ما فيه خيركم وإسعادكم ، وخير المجتمع وإسعاده ، وهيأكم من أمركم رشدا .

عيسى متولى